الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة –

كلية الشريعة والاقتصاد

مخبر البحث في الدراسات الشرعية

الندوة الوطنية حول: "حماية حقوق الأقليات المسلمة في ضوء التشريعات الدولية ومواثيق المشترك الإنساني"، بمناسبة اليوم العالمي "للعيش معا بسلام"، المنظمة من طرف الكلية بالتنسيق مع مخبر الدراسات الشرعية، والمنعقدة يوم الثلاثاء 26 شوال 1444هـ الموافق 26 ماي 2023م

دور الإغاثة الإسلامية في حماية الأقليات المسلمة.

د. العيدي شاوش.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الاسلامية. قسنطينة.

ملخص البحث

تهدف هذه الدراسة إلى معرفة الواقع البئيس الذي تعيشه الكثير من الأقليات المسلمة في شتى أنحاء المعمورة، حيث يمارس عليها الظلم والتعدي والقهر تحت سمع وبصر العالم بجميع دوله وشعوبه، ولا ذنب لهؤلاء المضطهدين سوى أنهم مسلمون. وإذا كان من يتسمون بالعالم الحر اليوم والداعين إلى حماية حقوق الإنسان عموما والأقليات خصوصا، لم يبادروا إلى حل هذه المعضلة العالمية، فإن من واجب المسلمين في جميع أنحاء العالم أن يقفوا وقفة مشرفة تجاه إخوانهم المظلومين، ليرفعوا عنهم الظلم من جهة، وليحققوا وجودهم كأمة واحدة موحدة، تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، في عالم يمعن في احتقار الضعفاء ويسعى جاهدا في تغيير خارطة الوجود الإسلامي شرقا وغربا، شمالا وجنوبا. والمنهج المتبع في هذه الدراسة هو منهج الوصفي تأصيلي تحليلي ينطلق من الواقع الزماني الحالي والتاريخي، ويقترح الحل في إطار الشريعة الإسلامية بنصوصها وفقه علمائها، وفي إطار المواثيق والمعاهدات الدولية الرامية إلى حماية حقوق الإنسان، باعتباره إنسانا.

وقد أسفرت هذه الدراسة عن جملة من النتائج يذكر منها:

- أن مشكلة الأقليات المسلمة في العالم مشكلة معقدة، ولا يراد لها أن تجد الحل على الأقل في القريب العاجل.
- أن من وراء هذه المشكلة خصوم وأعداء يريدون تطهير بقاع من الأرض من كل ما هو إسلامي، حتى ولو كان مجرد ثقافة أو حرية معتقد .
- أن حل مشكلة الأقليات الإسلامية بأيدي المسلمين أنفسهم، وإن التعويل على الهيئات والمنظمات الدولية الإنسانية مجرد إطالة لعمر الأزمة.
- إن في ديننا وشريعتنا الحلول المثلى إذا أحسنا التفاعل معها وتفعيلها ميدانيا في إغاثة الأقليات الإسلامية.

- أن المسلمين دولا وحكومات مطالبون بأن يدافعوا عن أنفسهم وعن إخوانهم من الأقليات المضطهدة في أنحاء كثيرة من العالم ، فإن هم تخاذلوا فإن الدور غدا أو بعد غد سيكون على الباقين حتى ولو كانوا في مكة والمدينة.

الكلمات المفتاحية: الإسلام، الأقليات، الاضطهاد، الإغاثة.

Article summary

This study aims to know the miserable reality experienced by many Muslim minorities in all parts of the globe, where injustice, transgression and oppression are practiced on them under the sight of the world with all its countries and peoples, and these persecuted people have no fault except that they are Muslims. And if those who today characterize themselves as the free world and those who call for the protection of human rights in general and of minorities in particular, have not taken the initiative to resolve this global dilemma, then is the duty of Muslims all over the world to take an honorable stand towards their oppressed brothers, to lift their oppression on the one hand, and to realize their existence as a unified nation, enjoining good and forbidding evil, in a world that despises the weak and strives to change the map of Islamic existence, east and west, north and south.

The approach used in this study is a descriptive, original, analytical approach that derives from the current temporal and historical reality, and proposes a solution within the framework of Islamic law with its texts and the jurisprudence of its scholars, and within the framework covenants and treaties to protect human rights, as a human being.

This study led to several results, including:

The problem of Muslim minorities in the world is complex and has no vocation to find a solution, at least in the near future.

Behind this problem hide opponents and enemies who want to purify parts of the earth from everything that is Islamic, even if it is only about culture or freedom of belief.

- That the solution to the problem of Islamic minorities is in the hands of Muslims themselves, and that relying on international humanitarian bodies and organizations is only an extension of the duration of the crisis.
- In our religion and our law, we have the best solutions if we interact well with them and activate them on the ground to help the Islamic minorities.
- That Muslims, states and governments, are obligated to defend themselves and their brothers against persecuted minorities in many parts of the world.

Keywords: Islam, minorities, persecution, relief.

تمهيد: على الرغم مما وصل إليه الفكر الإنساني الحديث من الإنجازات العلمية والتقنية والتمدن الحضاري في جميع ميادين المعرفة ، إلا أنه مازال في مرحلة الطفولة من حيث رعاية حقوق الإنسان ، باعتباره إنسانا ، بغض النظر عن جنسه ولونه أو لغته ووطنه أو غير ذلك من الاعتبارات .

ولا أدل على هذا من الواقع الانساني المتردي في العديد من دول العالم في جميع القارات.

ولعل ما تنقله وسائل الاعلام بمختلف أنواعها واهتماماتها ، وما تؤكده الإحصائيات ، يدعم هذا الادعاء ويؤكد الحيرة التي يعيشها الغيورون ذوو العقول السليمة والفطر المستقيمة من جراء تلاعب الانسان بحقوق الانسان.

وأوضح صورة اليوم على ضياع هذه الحقوق في المجتمعات الحديثة ، هو واقع الأقليات المسلمة في كثير من دول العالم الذي يدعي أنه عالم متحضر ، أو هكذا يقال عنه.

ومن الأمثلة على ما تعانيه الأقليات المسلمة في الغرب والشرق على السواء ، ما حدث ويحدث أمام العالم بأسره لمسلمي الروهينغا ، مسلمي ميانمار (بورما سابقا) ، ومسلمي البوسنة ، ومسلمي كشمير ، مسلمي الشيشان ، الأقليات المسلمة في بعض دول افريقيا...

ولا ذنب لهؤلاء المضطهدين في الغالب سوى أنهم اختاروا الإسلام دينا في بيئة أصيب بعض أهلها، قلوا أو كثروا، بمرض الإسلام فوبيا ، ويؤكد هذا الفهم لأسباب المشكلة ، أن جميع دول العالم توجد فيها أقليات ،وأحيانا تكون متعددة المشارب والأصول ، ومع ذلك فإنها لا تعامل كما تعامل الأقليات الإسلامية.

ولتقريب صورة المشهد أكثر فأكثر، يمكن **تلخيص أبرز سمات الواقع المتعلق بالأقليات المسلمة في العالم** على النحو الآتي:

– يبلغ عدد الأقليات المسلمة عبر دول العالم حوالي 500 مليون نسمة. أي ما يعادل سكان القارة الافريقية بالكامل. وهذه النسبة تعادل عُشر سكان المعمورة.

– إن أغلب مناطق التوتر والصراع السياسي والعسكري في العالم تتمركز في الأماكن التي تتواجد فيها الأقليات المسلمة.

– إن مناطق التوتر هذه لا تتوفر حولها الاحصائيات الدقيقة ، لا من حيث عدد المسلمين ، ولا من حيث أوضاعهم الاجتماعية والسياسية ، لأن مصادر الإحصاء تتعمد في الغالب أسلوب التعمية لغاية مقصودة.

أما أهم مشكلات الأقليات المسلمة في بؤر التوتر حول العالم فتتلخص فيما يأتي:

– **الصراع السياسي والعسكري الذي لا يكاد يهدأ:** ويتجلى ذلك في الحروب ، والقتل ، والاعتقال ، والتهجير القسري الممنهج...

– **انخفاض مستوى المعيشة** : إما بسبب الظلم الاقتصادي المترتب على انخفاض مستوى الدخل، وإما بسبب ضعف الإمكانات ؛ مما جعل أغلب هذه الأقليات تعيش حياة الفقر والبطالة والجهل ، وكمثال على ذلك أن 70 في المائة من الأقلية المسلمة في الهند يمارسون الزراعة ، و 35 في المائة منهم يعيشون تحت خط الفقر ، وتلقائيا والحالة هذه سترتفع نسبة المصابين بالأمراض والأوبئة ، ويترتب على ذلك ارتفاع نسبة الوفيات

– **الشعور بعدم الاطمئنان على مستقبل الأجيال القادمة** من الذرية ، مما جعل هذه الأقليات تعيش حالة التردد بين العزلة والاندماج في المجتمع الذي تتواجد فيه.

– **تهديد الهوية** المتمثلة في المعتقد ، واللغة ، والتاريخ ، والوطن ، والثقافة ، وذلك من خلال السعي الحثيث للتذويب الثقافي ، والتهجير القسري ، وسن القوانين الجائرة التي تمنع المسلمين في تلك الأقطار من الممارسات التي تحفظ لهم هويتهم.

– **الاضطهاد من قبل الجماعات اليمينية المتطرفة** ،كما هو الحال بالنسبة للأقليات المسلمة في بعض الدول الغربية.

– **مشكلة التفرق المذموم** الذي تعيشه الكثير من الأقليات المسلمة في الوطن الواحد ، انطلاقا من التعصب للعرق والطائفة والمذهب واللغة .. وزاد الطين بلة ذلك التشجيع الذي تلقاه بعض هذه الفرق على حساب غيرها، من قبل الأعداء في الداخل والخارج.

– **قلة العلماء المتخصصين والدعاة المتمرسين** الذين يتصرفون مع الواقع بحكمة وبعد نظر.

أما عن أسباب اضطهاد الأقليات الإسلامية في العالم اليوم:

فمهما قيل ويقال عن هذه الأسباب فهي لا تكاد تخرج عن سبب رئيس ؛ ويتمثل في:

– **الانتماء الديني** ، الذي يمثل قاعدة الهرم في قائمة الأسباب ، فهو كما قال الله تعالى: ﴿**وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُومِنُوا بِاللهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ.**﴾[1]

– **الصراع السياسي** الذي يؤجج العداوات ويزيد من الاحتقان بين الطوائف.

---

[1] سورة البروج ،آية 08.

– **العرقية المقيتة**. (المسلمون في البوسنة نموذجا).

– **التهميش السياسي** كما هو الشأن مع مسلمي الروهينغا في ميانمار– بورما سابقا–.والأقلية المسلمة في الهند الذين لا يتعدى تمثيلهم في مؤسسات الدولة 01 في المائة.

– **ضعف الاهتمام الدولي عموما ، والإسلامي خصوصا بمشاكل الأقليات المسلمة** ، وأحيانا الصمت المطبق ، الذي يشجع الظلمة على مواصلة ظلمهم للأقليات ، مادام هؤلاء الظلمة المعتدين لا يجدون من ينكر عيهم أو يوقفهم عند حدهم.

وأمام هذا الواقع غير الإنساني ، وجب على المسلمين في مختلف دول العالم الإسلامي والإنساني ألا يتركوهم عرضة للإبادة المنظمة بإحكام ، وذلك من خلال إغاثتهم ومدّ يد العون لهم.

فما حقيقة الإغاثة المطلوبة إذن؟ وما هو دورها في حماية هذه الأقليات المسلمة؟

هذا ما سيتم التطرق إليه في هذه المداخلة العلمية من خلال العناصر الآتية:

أولا– تعريفات ومفاهيم.

ثانيا– حكم إغاثة الأقليات المسلمة.

ثالثا – موقف فقهاء الأمّة من إغاثة الأقليات الإسلامية.

رابعا – الجهات المسئولة عن إغاثة الأقليات المسلمة المضطهدة.

خامسا: مكاسب المسلمين من وراء إغاثة الأقليات المسلمة في العالم.

أولا– تعريفات ومفاهيم.

1/ تعريف الإغاثة:

أ– تعريف الإغاثة: أ1/ لغة: الإغاثة من الفعل غوّث ، فيقال: ضرب فلان فغوّث تغويثا، أي قال: واغوثاه أيْ من يغيثني؟ والغوث الاسم من ذلك.[2]

.وذكر صاحب "التاج": وقد صرح أيمة النحو بأنّ هذا هو أصله ، ثم إنهم استعملوه بمعنى صاح ونادى طلبا للغوث.[3]

والاستغاثة من الغوث وهو النصر والعون ، فيقال: إستغثه فأغاثني، ولم يجيء استغاث في القرآن الكريم إلا متعديا بنفسه ، والاستغاثة طلب الانخراط في سلك البعض ، والنجاة مما ابتلى به البعض الآخر.[4]

---

[2] الفراهيدي الخليل بن أحمد (ت 170 ه)، **كتاب العين** ، 4 ج ، ط 1 ، تحقيق عبد الحميد هنداوي ، (بيروت ، لبنان، منشورات محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية ، عام 1424 ه – 2003 م)، ج 3 ، ص295.

[3]. الزبيدي السيد محمد مرتضى الحسيني (ت1205 ه) ، **تاج العروس من جواهر القاموس** ، 40 ج ، ط1، تحقيق عبد الستار أحمد فراج وآخرين ، (الكويت ، سلسلة الثرات العربي ، مطبعة حكومة الكويت، عام 1421 ه –2000 م) ، ج 5 ، ص 113.

[4]الكفوي أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني (ت1094 ه) ، **الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية** ، ط2، إعداد الطبع: عدنان الدرويش ، ومحمد المصري ، (بيروت ، لبنان، مؤسسة الرسالة ، عام 1419 ه–1998 م) ، ص114

والخلاصة: أنّ الإغاثة في اللّغة دفع البلاء والتفريج عن المبتلى؛ وقد ذكر ابن قتيبة في كتاب "تأويل مشكل القرآن" ، بابا عنون له بقوله: باب المقلوب: ومن ذلك- (أي من المقلوب) أن يسمى المتضادان باسم واحد ، والأصل واحد... فيقال للمستغيث صارخ ، وللمغيث صارخ ، لأنّ المستغيث يصرخ في استغاثته ، والمغيث يصرخ في إجابته.[5].

أ2/ تعريف الإغاثة اصطلاحا: جاء في "معجم لغة الفقهاء": الإغاثة: الإعانة والنصرة لذي حرج واضطرار[(2)]. والرأي أن هذا التعريف أقرب إلى التعريف اللغوي منه إلى المعنى الشرعي.

ويمكن تعريفها أيضا كالآتي:

الإغاثة هي المبادرة على سبيل المواساة ، بتقديم العون والنصرة، والإمداد بالقوة والآلة والأسباب الميسرة ، لملهوف أحرجته ضرورة أو حاجة ، بغرض تخليصه من الشدة بقدر الاستطاعة ، إرضاء لله تعالى.[6]

2- **مفهوم الأقليات:** جمع أقلية ، وهي جماعة فرعية تعيش في جماعة أكبر.[7]

ولذلك فإن مفهوم الأقلية إنما هو مفهوم نسبي ، فقد تكون بعض الأقليات في بلدان بعينها تقدر بعشرات الملايين ، ولكنها معدودة أقلية بالنسبة إلى مجموع سكان تلك البلد ، في حين تكون الأغلبية في بلد آخر لا تتعدى بضعة مئات من الألوف . وعليه يمكن إطلاق صفات توضح حجم تلك الأقليات للتمييز بينها ، فنقول مثلا: الأقلية الإسلامية في البلد الفلاني كبيرة (فمثلا في الهند أزيد من 156.254.615 من المسلمين ، أي بنسبة تفوق 13 ٪ من عدد السكان الإجمالي الذي يفوق 1.166.079.217 نسمة) ، والأقلية الإسلامية في البلد الآخر قليلة (فمثلا في فيتنام حوالي 87 ألف مسلم ، بنسبة 1 , 0 ٪)[8]

ثانيا : حكم إغاثة الأقليات المسلمة: نصرة المضطهدين واجبة متى اقتضى الوضع نصرتهم ؛ دلت على ذلك نصوص من الكتاب والسنة.

فمن الكتاب : قوله ـ عز وجل ـ وهو يقص علينا قصة نبيه الكريم موسى ـ عليه السلام ـ: ﴿**وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ**

---

[5] ابن قتيبة أبو محمد عبد الله بن مسلم (213 -276 ه) **تأويل مشكل القرآن** ، ط 2 ، تحقيق السيد أحمد صقر، (القاهرة، جمهورية مصر العربية ، مكتبة دار التراث ، عام (1393 ه - 1973 م) ، ص 186-187.

[6] العيدي شاوش ، **نظام الإغاثة في الفقه الإسلامي والمنظّمات المعاصرة «دراسة تأصيلية تطبيقية مقارنة»** أطروحة نال بها الباحث درجة دكتوراه علوم في العلوم الإسلامية ، تخصّص الفقه وأصوله ، من جامعة الأمير عبد القادر قسنطينة، ص 15.

[7] سيد عبد المجيد بكر ، **الأقلية المسلمة في آسيا وأستراليا** ، ص 08.

[8] إسلام عبد التواب ، **الأقليات المسلمة في المجتمعات غير الإسلامية** ، وهو مقال مقدم إلى مؤتمر مكة المكرمة الثالث عشر ، المجتمع المسلم .. الثوابت والمتغيرات ، الذي نظمته رابطة العالم الإسلامي ، ينقله من "كتاب الحقائق" (Book Fact 2009)،الصادر عن وكالة المخابرات الأمريكية. على الرابط: https://www.cia.gov/library/publications. ص 07 – 08 على التوالي.بتصرف بسيط

عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ.﴾[9] .أي دخلها مستخفيا من فرعون وقومه لأنه ـ عليه السلام ـ كان قد خالفهم في دينهم وعاب عليهم ما كانوا عليه، حتى أخافوه وخافهم، حتى كان لا يدخل قرية فرعون إلا خائفا مستخفيا، فدخلها يوما على حين غفلة من أهلها.

وهذا بعد أن كان فرعون قد أمر بإخراجه من مدينته لما علاه بالعصا، فلم يدخلها إلا بعد أن كبر وبلغ أشده. قالوا: ومعنى الكلام ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها لذكر موسى ، أي من بعد نسيانهم خبره وأمره.[10].

وفيها دلالة على تقديم العون للمضطهدين متى ما أمكن ذلك وبالقدر المتاح. قال الإمام ابن العربي: "وإنما أغاثه لأن نصرة المظلوم دين في الملل كلها ، وفرض في جميع الشرائع وفي الحديث الصحيح :((**من حقوق المسلم على المسلم نصر المظلوم**))، وفيه أيضا: قال النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ : ((**أنصر أخاك ظالما أو مظلوما ، فنصره ظالما كفه عن الظلم**))." [11]

وجاء في قصة ذي القرنيين: حين استغاثة القوم الأعاجم من أجل أن يبني لهم سدا يحول بينهم وبين يأجوج ومأجوج لما رأوا من قوته وعلمه وحكمته ، قال تعالى: ﴿...**ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا . قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَى أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا . قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا. آَتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انْفُخُوا حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آَتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا.فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا.**﴾ [12]

فنظرا للمعاناة التي لاقاها هؤلاء القوم من ظلم يأجوج ومأجوج ، ورأوا في ذي القرنيين من القوة والحكمة والتمكين في الأرض ،فإنهم عرضوا عليه أن يدفعوا إليه الأجر العظيم حتى يجعل بينهم وبين أعدائهم سدا يحول دون إفسادهم في البلاد والعباد إلا أن ذا القرنين ـ لديانته وصلاحه وسعيه في الخير. تعفف عن أخذ أموالهم ، إذ لم ينس فضل الله تعالى عليه وتمكينه في الأرض ، فجعل سعيه في إغاثتهم وإنقاذهم من عدوهم خيرا من أخذ الأجر منهم مهما بلغ، واكتفى منهم بأن يساعدوه بالجهد نظرا لضخامة المشروع، فأنجز لهم حاجزا خيرا مما طلبوا، فهم أرادوه سدا، وهو جعله ردما، فما اسطاعوا أن يظهروه، أي يصعدوا فوقه، وذلك أسهل، وما استطاعوا له نقبا من أسفله ، وهذا أشد وأصعب. والله يؤتي الحكمة من يشاء.

---

[9] سورة القصص ، آية 15

[10] الطبري أبو جعفر محمد بن جرير. ***جامع البيان عن تأويل آي القرآن*** . وهو ***تفسير الطبري*** . تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي . 26 ج. الطبعة الأولى . القاهرة .جمهورية مصر العربية . دار هجر.عام 1422هـ. 2001 م.ج 18 ، ص 183 . 184

[11] ابن العربي ، **أحكام القرآن** ، ج 3 ، ص 1465

[12] سورة الكهف ، آية 92 . 97 .

وقال أيضا: مخاطبا نبيه محمدا- صلى الله عليه وسلم-: ﴿**وَمَا كُنْتَ تَرْجُو أَنْ يُلْقَى إِلَيْكَ الْكِتَابُ إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِلْكَافِرِينَ**﴾[13]

والمعنى: "وما كنت ترجو يا محمد أن ينزل عليك هذا القرآن، فتعلم الأنباء والأخبار عن الماضين قبلك، والحادثة بعدك، مما لم يكن بعد، مما لم تشهدْه، ولا تشهدُه، ثم تتلو ذلك على قومك من قريش، إلا أن ربك رحمك، فأنزله عليك... وقوله: ﴿**فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِلْكَافِرِينَ**﴾ يقول: فاحمد ربك على ما أنعم به عليك من رحمته إياك، بإنزاله عليك هذا الكتاب، ولا تكونن عونا لمن كفر بربك على كفره به." [14]

وفي معرض ذكر خيرية هذه الأمة: قال تعالى: ﴿**كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آَمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ.**﴾ [15]

وكل كلمة في هذه الآية تنطق بأسباب هذه الخيرية، وخلاصتها أن هذه الأمة كانت خير الأمم لأنها وجدت من أجل تقديم النفع لجميع الناس، ولهذا قال: ﴿**أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ**﴾ أي لأجلهم ولمصلحتهم. فالأمة الإسلامية خير أمة عرفتها البشرية ، وخيريتها ليست خيرية عنصرية أو جنسية ، أو خيرية فارغة بلا تبعات ، أو مجرد دعوى ادعاها المسلمون لأنفسهم في مقابل دعاوى الآخرين بالخيرية ، كما فعل اليهود حين ادعوا أنهم شعب الله المختار. ولكنها خيرية ثابتة من خلال شهادة الله، وبشروط وأوصاف نطقت بها الآية الكريمة.

كما إنها ليست خيرية قاصرة على جيل بعينه أو بيئة بعينها ، بل إنها خيرية عامة في الداخل وفي الخارج ، وبمقتضاها تحتم على هذه الأمة أن تكون نافعة لبعضها البعض، فهم كما وصفهم النبي . صلى الله عليه وسلم .: ((**أمة واحدة يسعى بذمتهم أدناهم وهم يد على من سواهم**))، فإذا كانت جماعة منهم مصابة ببلاء وجب على أهل العافية أن يغيثوهم بقدر الإمكان من أجل دفع الضرر عنهم أو جلب النفع لهم.

كما تحتم هذه الخيرية أن يكون المسلمون نافعين لغيرهم من الأقوام ، وإن لم يكونوا مسلمين، لأن التعاون على البر والتقوى ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر شرط من شروط هذه الخيرية، فمن كان في حاجة إلى هذه الأمة، وكان في وسعها إغاثته، فالأولى أن تفعل.

فولاية المؤمنين لبعضهم أصلها وحدة العقيدة والعبادة ، وأساسها المحبة والنصرة والمظاهرة والتأييد بالنوايا والأقوال والأفعال، ومن مظاهر هذه الولاية:

---

[13]سورة القصص ، آية 86.

[14]الطبري ، **تفسير الطبري** ، ج 18 ، ص 352.

[15]سورة آل عمران ، آية 110.

مناصرة الأقليات الإسلامية والوقوف إلى جانبهم؛ بالمال واللسان والنفس والنفيس، ولكل موقف وسائله، لأن الله تعالى أوجب علينا ذلك في قوله:﴿**وَإِنِ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلَّا عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاق.**﴾[16]

وأما من السنة الشريفة: فيذكر ذلك البيان النبوي في كيفية استغاثة المظلوم: فقد حدث سفيان الثوري . رحمه الله تعالى . قال: جاء رجل إلى النبي . صلى الله عليه وسلم . قال: الرجل يأتيني فيريد مالي؟ قال: ((**ذكّره بالله**)). قال: فإن لم يذكر؟ قال: ((**فاستعن عليه مَنْ حَوْلَكَ من المسلمين**)).قال: فإن لم يكن حولي أحد من المسلمين؟ قال: ((**فاستعن عليه بالسلطان**)).قال:فإن نأى السلطان عنّي ؟قال: ((**قاتل دون مالك حتى تكون من شهداء الآخرة، أو تمنع مالك**)).[17]

وأيضا موقف النبي– *صلى الله عليه وسلم* – من أهل الصّفّة: فعن عبد الرحمن بن أبي بكر: أن أصحاب الصفة كانوا أناسا فقراء ، وأن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: ((**من كان عنده طعام اثنين فليذهب بثالث، ومن كان عنده طعام أربعة فليذهب بخامس أو سادس**))، أو كما قال ، وأن أبا بكر جاء بثلاثة.[18]

وساق الحديث بطوله. وفيه فوائد منها:

ـ **الأولى:** ذكر أصحاب الصفة ، وهم قوم من المهاجرين ، الذين فروا بدينهم ولم يقدروا على استخلاص شيء من أموالهم ، فقدموا المدينة بأيد صافرة ، ولم يجدوا وجها يكتسبون منه القوت ولا السكنى، فجمعهم النبي . صلى الله عليه وسلم . في صفّة كانت في مسجده ، وهي سقيفة كانت من جملته، إليها يأوون ، وفيها يقعدون إذ لم يجدوا مالا ولا أهلا ، فكان رسول الله يحض الناس على إعانتهم والإحسان إليهم ، وكان منهم سيدنا أبو هريرة . رضي الله عنه . وكان من أعرف الناس بهم بعد رسول الله . عليه الصلاة والسلام . ، وقد قال عنهم ـ كما نقل في الصحيح ـ: وأهل الصفة أضياف الإسلام ، لا يأوون إلى أهل ولا مال ولا على أحد ، إذا أتته ـ يعني رسول الله ـ صدقة بعث بها إليهم، ولم يتناول منها شيئا، وإذا أتته هدية أرسل إليهم وأصاب منها وأشركهم فيها.[19]

فلما كانوا أضياف الإسلام، أوجب رسول الله على أهل مدينته ضيافتهم. وقد نزلت في شأنهم آيات منها قوله تعالى: ﴿**لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ** ﴾[20]

---

[16]سورة الأنفال، آية 72.

[17]النسائي، **المجتبى من السنن** المشهور بـ : **سنن النسائي** ، (عمان ، الأردن ، طبعة بيت الأفكار الدولية، معلومات أخرى: بدون)، كتاب تحريم الدم ، باب ما يفعل من تعرض لماله ، حديث رقم 4081 ، [وقال عنه الألباني :حسن صحيح].

[18]البخاري ، **الجامع الصحيح** ، مواقيت الصلاة ، باب السمر مع الضيف والأهل ، حديث رقم 602 .

[19]البخاري ، **الجامع الصحيح** ، كتاب الرقاق ، باب كيف كان عيش النبي وأصحابه وتخليهم عن الدنيا ، حديث رقم 645.

[20]سورة الحشر ، آية 08

والملاحظ أن من مقاصد الإسلام إخراج الناس من الفقر والحاجة، ولذلك لم يدم العمل بالصفة، ولم يثابر أهلها ولا غيرهم على البقاء فيها، ولا عمرت بعد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، وضرورة ألجأت إليها الظروف يومئذ، فقدرت بقدرها، ثم زالت بزوال مبررات وجودها.

والثانية: أن صدر هذه الأمة، ممثلة في نبيها ـ عليه الصلاة والسلام ـ وفي أصحابه ـ عليهم الرضوان ـ كانت لهم عناية خاصة بالفقراء ، حتى جمعهم رسول الله في المسجد ، وأفرد لهم مكانا يأوون إليه، ليكونوا تحت سمعه وبصره ، ويسهل على المسلمين إعانتهم ما وجدوا إلى ذلك سبيلا، وهو مظهر من مظاهر العمل الإغاثي المحكم زمانا ومكانا وصفة.

والفائدة الثالثة: إذا كان أبو بكر قد أخذ معه ثلاثة من أهل الصفة ، فإن رسول الله أخذ معه عشرة، وذلك على قدر قوته على الإيثار وما خصه الله به من الجود والكرم في حالي اليسر والإعسار[21]

وقد قول النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ : ((**مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعي له سائر الجسد بالسهر والحمى.**)) [22]

وفيه بيان لتعظيم حقوق المسلمين بعضهم على بعض، وحثهم على التراحم والملاطفة والتعاضد والتناصر عند الحاجة في غير إثم ولا منكر[23].

وفي خلال خلافة عمر الفاروق، التي طالت نسبيا مقارنة بخلافة أبي بكر **ـ رضي الله عنهما ـ** ، حدثت أحداث، ومرت الأمة بمراحل غاية في الشدة ، ومن تلك الشدائد مجاعة عام الرمادة.

فيذكر المؤرخون أن سنة ثماني عشرة للهجرة في خلافة عمر**–رضي الله عنه–** أصاب الناس مجاعة وقحط شديد ، هلك فيه الزرع والضرع، وغلا الطعام، وقلّت المؤونة ، فكان لأمير المؤمنين سياسة خاصة تظهر من خلال الروايات الآتية التي تصف لنا تلك الأزمة؛ فقد ذكر ابن الأثير في "**الكامل**" ما نصه: في سنة ثمان عشرة أصاب الناس مجاعة

---

[21]ابن رجب الحنبلي ، **فتح الباري شرح صحيح البخاري** ، 10ج ، ط 1 ، تحقيق محمود بن شعبان بن عبد المقصود وآخرين، (المدينة المنورة، السعودية ، مكتبة الغرباء الأثرية ، عام 1416 هـ . 1996 م) ، ج 5 ، ص 166 . 168.

[22]مسلم ، **صحيح مسلم** ،كتاب البر والصلة والآداب ،باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم ، حديث رقم 2586 ، يرويه عن النعمان بن بشير ـ رضي الله عنه ـ . واللفظ له . والبخاري ، **الجامع الصحيح** ،كتاب الأدب ، باب رحمة الناس والبهائم، حديث رقم 6011 بألفاظ متقاربة. وأحمد ، **المسند**، ج 14 ، حديث رقم 19245 ، بلفظ :((**إنما مثل المسلمين كالرجل الواحد ، إذا وجع منه شيء تداعى له [22]سائر جسده**)). قال الشيخ حمزة أحمد الزين– وهو شارح وصانع فهارس القسم الثاني من المسند – : إسناده صحيح. [ملاحظة: النسخة المعتمدة من المسند اشترك في شرحها ووضع فهارسها الشيخان أحمد شاكر، من ج 1 إلى ج 8 ، و أحمد زين من ج 9 إلى ج 18 أما الجزءان: 19 و 20 فخصصا للفهارس].

[23] يراجع **شرح النووي**

على صحيح مسلم ، وهو الهامش على **إرشاد الساري شرح صحيح البخاري** ، ج 10 ، ص 18 .

شديدة وجدب وقحط، وهو (عام الرمادة) وكانت الريح تسفي ترابا كالرمادة، فسمي عام الرمادة ، واشتد الجوع حتى جعلت الوحش تأوي الإنس ، وحتى جعل الرجل يذبح الشاة فيعافها من قبحها[24].

وذكر ابن سعد: لما صدر الناس عن الحج سنة ثماني عشرة، أصاب الناس جَهد شديد، وأجدبت البلاد، وهلكت الماشية ، وجاع الناس وهلكوا ، حتى كان الناس يُرَوْنَ يستفون الرِّمة ، ويحفرون نُفَقَ اليرابيع والجرذان يخرجون ما فيها [25]. .

ومع أن عمر كان من أغنياء المسلمين إلا أنه أنزل نفسه كواحد من عامتهم ، فأبى أن يشبع وهم جياع في زمن الأزمة ، ويظهر أنه رصد أمواله لإغاثة ذوي الحاجات ، وليس ذلك بغريب من عمر الذي كان يسابق أبا بكر في الإنفاق في سبيل الله عند الحاجة على عهد النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، فليس هو الرجل الذي يبخل بماله عند وجود المقتضي من أزمة وشدة.

كما تذكر الروايات التاريخية أن عمر لم يواجه هذه المجاعة الكارثة بما هو موجود بين يديه في المدينة فحسب، بل إنه أشرك غيره من الولاة في التخفيف من آثارها، فكتب الكتب، وأرسل الرسل يستغيث أهل الشام والبصرة والكوفة ومصر، وسائر الحضائر الإسلامية. فكتب إلى يزيد بن أبي سفيان وإلى أبي موسى الأشعري يقول: واغوثاه! هلكت العرب. فأما يزيد فكتب: لبيتَ، لبيت، لبيت يا أمير المؤمنين، أتاك الغوث، بعثت إليك عيرا أولها بالمدينة وآخرها بالشام. [26]

وعن زيد بن أسلم، عن أبيه، قال: لما دفّت العرب إلى عمر ـ رضي الله عنه ـ بالمدينة ، كتب إلى العمال: سعد بالكوفة، وأبي موسى بالبصرة ، وعمرو بن العاص بمصر ، ومعاوية بالشام: من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى فلان بن فلان ،أما بعد ؛ فإن العرب قد دفّت إلينا ، ولم تحتملهم بلادهم ولا بدّ لهم من الغوث، الغوث، حتى ملأ الصحيفة ، قال: فربما كان في الصحيفة مائتا مرة ـ يعني الغوث، الغوث ـ . وكتب إلى عمرو بن العاص: إلى العاصي بن العاصي... فقال عمرو للرسول: هل كنت تمل هذا إلى آخر؟ وقال: ما أراني أفلتُّ من عمر. رضي الله عنه ـ على حال[27]

ولقد استشعر هؤلاء الأمراء ـ رضي الله عنهم ـ خطورة الوضع فتحملوا المسؤولية، ولم يقصروا في إجابة هذه الاستغاثة العمرية الحرّى، فكانت الردود الفعلية سريعة وإيجابية:

---

[24]ابن الأثير (ت 630 هـ) ، **الكامل في التاريخ** ، 11 ج ، ط1 ، تحقيق أبو الفداء عبد الله القاضي ، (بيروت ، لبنان ، دار الكتب العلمية ،عام 1407 هـ 1987 م) ، ج 2 ، ص 396 .

[25]ابن سعد محمد بن سعد منيع الزهري (ت 230 هـ)،**كتاب الطبقات الكبير** ، ج 03 ، ص 288.

[26] وكان رد أبي موسى ما نصه: يا أمير المؤمنين، إن الخلق لا يسعهم إلا الخالق، فلو أنك كتبت في الأمصار، وواعدتهم يوما، فأمرتهم فخرجوا، فاستسقوا، ودعوا. فلما أتاه كتابه قال: والله ما أرى أبا موسى إلا قد أشار برأي، فكتب، فخرج الناس، فاستسقوا، فسقوا. – ابن شبة ، **كتاب تاريخ المدينة المنورة** ، ج 2 ، ص 743 . وابن سعد ، **كتاب الطبقات** ، ج 04 ، ص 103.

[27]ابن شبة ، **كتاب تاريخ المدينة المنورة** ، ص 744 .

فلما كتب عمر إلى عمرو بن العاص يبعث بالطعام في البر والبحر، بعث إليه في البحر بعشرين سفينة تحمل الدقيق والودك ، وبعث إليه في البر بألف بعير تحمل الدقيق ، وبعث إليه بثلاثة آلاف عباءة، وبعث إليه عمرو بن العاص بخمسة آلاف كساء، وبعث إليه والي الكوفة بِعير تحمل الدقيق[28].

واستجاب ولاة الأقاليم وسائر العمال من أجل تطويق الأزمة ، فيذكر ابن الجوزي أن أول من قدم على عمر . بعد كتبه إلى أمراء الأمصار. أبو عبيدة عامر بن الجراح في أربعة آلاف راحلة ، فولاّه قسمتها فيمن حول المدينة ، فلما فرغ ورجع إلى المدينة أمر له بأربعة آلاف درهم ، فقال: لا حاجة لي فيها يا أمير المؤمنين ، إنما أردت الله وما قِبَله ، فلا تدخل عليّ الدنيا. فقال: خذها فلا بأس بذلك إذا لم تطلبه. فأبى، فقال: خذها، فإني قد وليت لرسول الله- صلى الله عليه وسلم- مثل هذا، فقال لي مثل ما قلت لك ، فقلت له كما قلت لي ، فقبل أبو عبيدة وانصرف إلى عمله. وتتابع الناس واستغنى أهل الحجاز ، وأحيوا مع أول الحيا[29]

وفي موقف أبي عبيدة من عطية عمر، وإلحاح عمر عليه بالقبول، دليل على أنهم كانوا يعملون على سبيل التطوع في مثل هذه الأزمات منذ زمن رسول الله . صلى الله عليه وسلم ..

ولقد رأى الناس عام الرمادة من عمر ما جعلهم يقولون: لو لم يرفع الله المِحْلَ عام الرمادة ، لظننا أن عمر يموت همًّا بأمر المسلمين. [30] .خاصة وهو يرى معاناتهم ؛ صغارا وكبارا ، على أعتاب المدينة المنورة، قادمين من كل صوب وحدب ، بعشرات الآلاف ، حتى إنه قال مرة لأعوانه ؛ يزيد بن أخت النمر، والمسور ابن مخرمة ، وعبد الرحمن بن عبد القاريّ ، وعبد الله بن عتبة بن مسعود، وكان قد تعشى الناس عنده على عادته في هذه الأزمة: أحصوا لي من تعشى عندنا. فأحصوهم ، فوجدوا من تعشى عنده عشرة آلاف نسمة ، وأما عيالاتهم الذين لا يأتون من المرضى والصبيان فوجدوهم خمسين ألفا.[31]

ثالثا : موقف فقهاء الأمة من إغاثة الأقليات الإسلامية: الناظر في كتب الثراث الإسلامي يجد من المواقف والفتاوى في النوازل ، كلمات ربانية في ما يخص أوضاع المستضعفين في بقاع الأرض ، والتأكيد على نصرتهم وإغاثتهم ، وهي كلمات نطق بها علماء وفقهاء ودعاة استشعروا المسئولية أمام الله أولا ، ثم أمام الأمة والتاريخ ، وليس ذلك بغريب ، لأن هؤلاء العلماء عبر الزمان والمكان ،حين يصدرون فتاويهم ، فإنهم إنما يوقعونها نيابة عن رب العالمين ، على حد تعبير ابن قيم الجوزية صاحب كتاب "**أعلام الموقعين عن رب العالمين**"، فهؤلاء العلماء مؤتمنون على الشريعة الغراء ، كما أنهم مؤتمنون على مصائر الأفراد والجماعات الإسلامية ، بل ومصالح البشرية جمعاء.

---

[28]- ابن سعد ، **كتاب الطبقات** ،ج 3 ، ص 293 .

[29]- ابن الجوزي ، **المنتظم في تاريخ الملوك والأمم** ، ج 4 ، ص 251 . 252 .

[30]- ابن سعد ، **كتاب الطبقات الكبير** ،ج 3 ، ص 292

[31]- المرجع نفسه ، ص 294-295 .

ومن الشواهد المضيئة على وجوب الاعتناء بالمستضعفين وذوي الحاجات في الداخل أو في خارج دولة الإسلام، قول الإمام الجويني–رحمه الله–:[...وإذا قدرت آفة وأزم وقحط وجدب، عارضه تقدير رخاء في الأسعار تزيد معه أقدار الزكوات على مبالغ الحاجات ، فالوجه استحثاث الخلق بالموعظة الحسنة على أداء ما افترض الله عليهم في السَّنة ،فإن اتفق مع بدل المجهود في ذلك فقراء محتاجون لم تف الزكوات بحاجتهم ، فحق على الإمام أن يجعل الاعتناء بهم من أهم أمر في باله ، فالدنيا بحذافيرها لا تعدل تضرر فقير من فقراء المسلمين في ضر ، فإن انتهى نظر الإمام إليهم رمّ ما استرمّ من أحوالهم من الجهات التي سيأتي عليها شرحنا إن شاء الله عز وجل. فإن لم يبلغهم نظر الإمام ، وجب على ذوي اليسار والاقتدار البدارُ إلى دفع الضرار عنهم ، وإن ضاع فقير بين ظهراني موسرين ، حرجوا من عند آخرهم، وباءوا بأعظم المآثم ، وكان الله طليبهم وحسيبهم. وقد قال رسول الله–صلى الله عليه وسلم– : ((**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فلا يبيتن ليلة شبعان وجاره طاو**)).[32]

..وإذا كان تجهيز الموتى من فروض الكفايات ، فحفظ مهج الأحياء وتدارك حشاشة الفقراء أتم وأهم].[33]

وفي موضع آخر من كتابه القيم "الغياثي"، نجده ـ رحمه الله ـ يصرح ولا يلمح فيعلنها واضحة ناصعة :[...وقد قال المصطفى في أثناء خطبته:((**كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته**)). وقد عظم والله الخطر لمقامِ مُستقلّ في الإسلام ، مَن حُكمه باتفاق علماء الأنام ، أنه لو مات على ضفة الفرات مضرور ، أو ضاع على شاطئ الجيحون مقرور ، أو تضور في أطراف خطة الإسلام مكروب مغموم ، أو تلوى في منقطع المملكة مضطهد مهموم ، أو جأر إلى الله تعالى مظلوم ، أو بات تحت الضر خاو ، أو مات على الجوع والضياع طاو ، فهو المسئول عنها ، والمطالب بها في مشهد يوم عظيم: ﴿ **يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ . إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيم** ﴾.[34][35]

وقال ابن العربي في معرض بيان واجب المسلمين نحو إخوانهم المستضعفين إذا استنصروهم على قوم كفار: [...إلا أن يكونوا أسراء مستضعفين ، فإن الولاية معهم قائمة ، والنصرة لهم واجبة ، حتى لا تبقى منا عين تطرف ، حتى نخرج إلى استنقاذهم إن كان عددنا يحتمل ذلك ، أو نبذل جميع أموالنا في استخراجهم ، حتى لا يبقى لأحد

---

[32]ـ هذا الحديث مروي عن ابن عباس . رضي الله عنه . بلفظ: ((**ليس المؤمن الذي يشبع وجاره جائع إلى جنبه**)) أخرجه البخاري في **الأدب المفرد** ، والطبراني في **الكبير** ، والحاكم ، والبيهقي في **السنن الكبرى** ، وقال الحاكم: صحيح ، وتعقبه الإمام الذهبي في **التلخيص** بأنه من حديث عبد العزيز بن يحي وليس ثقة ، وفي **المهذب** بأنه ابن المجاور ، مجهول ، وقال الهيثمي: رجال الطبراني ثقات. [المناوي، **فيض القدير شرح الجامع الصغير** ، ج 5 ، ص 360 ، حديث رقم 7583.]

[33]– إمام الحرمين الجويني ، **الغياثي** وهو **غياث الأمم في التياث الظُّلَم** ، ط2 ، تحقيق عبد العظيم الديب ، (مطبعة نهضة مصر، عام 1401هـ)، ص 233- 234.

[34]ـ سورة الشعراء ، آية 88 ـ 89 .

[35]ـ الجويني ، **الغياثي** ، ص 383 ـ 384.

درهم ، كذلك قال مالك وجميع العلماء ، فإنّا لله وإنّا إليه راجعون ، على ما حلّ بالخلق في تركهم إخوانهم في أَسْرِ العدو ، وبأيديهم خزائن الأموال، وفضول الأحوال ، والقدرة والعدد ، والقوة والجَلَد.] [36]

وهذا شيخ الإسلام في زمانه ، ابن تيمية – رحمه الله –يطلب منه نائب السلطان وأمراء النواحي أن يذهب إلى السلطان في مصر يستحثه على إغاثة وإنقاذ بلاد الشام من هجمة التتار عليها سنة 700 للهجرة، فيشد الرحال إلى القاهرة ، فيجتمع بالسلطان فيقول له: [إن كنتم أعرضتم عن الشام وحمايته، أقمنا له سلطانا يحوطه ويحميه ويستغله في زمن الأمن. ثم قال: لو قدّر أنكم لستم حكام الشام ولا ملوكه، واستنصركم أهله، وجب عليكم النصر، فكيف وأنتم حكامُهُ وسلاطينه، وهم رعاياكم، وأنتم مسئولون عنهم؟ وقوّى جأشهم، وضمن لهم النصر هذه الكرّة، فخرجوا إلى الشام، وكان الظفر والنصر][37].

رابعا – الجهات المسئولة عن إغاثة الأقليات المسلمة المضطهدة:

1 / الدول والحكومات: ونعني بها الدول الإسلامية التي ارتضت لنفسها هذا التوجه ، ويعتبر قيامها بحماية الأقليات المسلمة وإغاثتها مما يحل بها من الظلم وانتهاك الحقوق الإنسانية ، من ألزم الواجبات وأوكدها ، بغض النظر عن أجناس هؤلاء المضطهدين أو لغاتهم أو أماكن وجودهم ، فهم إخوانهم في الدين وفي الإنسانية ، لقوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ.**﴾[38]

[فالدولة في الرؤية الإسلامية جزء من الرسالة الإسلامية ، ووسيلة واجبة الإيجاد لقيادة الجماعة أو المجتمع في الداخل والخارج... أي هي الوسيلة لتنفيذ الشرع ، ولا توجد الرسالة الإسلامية وجودا حيا إلا إذا كانت لها كيانية ممثلة في دولة.

ولكن الدولة لا تملك الحكم إلا إذا كانت تسير وفق الشرع في تنفيذ أحكام الرسالة في الداخل وفي حملها إلى الخارج ، فالرسالة الإسلامية دين عام ، والدولة جزء منه ؛ في شكلها ، وفي دورها. وهي دولة سياسية ، وليست لها صفة القداسة ولا لرئيسها صفة القدسية][39].

وهذه الدول المتعددة الرايات في العالم الإسلامي ، يفترض فيها عقديا أن تتكامل في ما بينها من أجل تمثيل المسلمين باعتبارهم أمة واحدة ، لأن الله عز وجل أرادنا أمة واحدة موحدة .

---

[36]- ابن العربي ، **أحكام القرآن** ،ج 02 ، ص 875 ـ 876. ونقله عنه القرطبي في **الجامع لأحكام القرآن** ، ج08 ، ص87.

[37]– محمد بن السعيد بن رسلان ، **حول حياة شيخ الإسلام ابن تيمية** ، ط 2، (مكتبة المنار، عام 2002 م)، ص22– 23.

[38]ـ سورة الحجرات ، آية 13.

[39]ـ عبد القادر هاشم رمزي ، **الدراسات الإنسانية في ميزان الرؤية الإسلامية** ، الفصل الثامن ، النظرية السياسية في ميزان الرؤية الإسلامية ، ص 208 – 209.

وبمقتضى هذه التوحيد والوحدة ، فـ'ن المسلمين حكاما ومحكومين يسعى بذمتهم أدناهم ، وهم يد على من سواهم ، فكان لزاما والحالة هذه أن تجتهد كل هذه الدول في حماية المسلمين وإغاثتهم ، وتوفر لهم الأمن في حلهم وترحالهم في الخارج كما في الداخل، وهذا من ألزم واجباتها شرعا وعقلا ، ومن أجل ذلك جاء في القرآن الكريم: ﴿**وَإِنِ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلَّا عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ**﴾.[40]

فأين أمة الإسلام اليوم من قوله تعالى: ﴿ **إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ.**﴾

فأن نحيى في بلداننا حياة إسلامية معناه أن نرَكِّب تعاليم الإسلام ، ونصنع الظاهرة الاجتماعية العالمية، لا أن نكتفي بمجرد الوصف والتحليل ، فزمان الافتخار بالعنديات فقد قيمته في عالم اليوم الذي تصالحت فيه كل الأجناس والأديان مع نفسها ، وأصبح تاريخا يذكر للتسلي ، وهذا زمان العمل والتنافس في الميدان، فإما أن نكون فاعلين في هذا العالم فعلا إيجابيا ، وهذه هي الحكمة في الدعوة التي أمرنا باتباعها ، ولسان حالنا يقول للعالمين من حولنا: نحن صنعة إسلامية خالصة ، وإما أن نبقى نتفرج على صانعي الأحداث في العالم، ونكتفي بالتعليق على ما تقوم به الأقوام الأخرى، وهذه سلبية يرفضها القدر الأعلى وتكون نهايتها:﴿**وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ**﴾[41]

فما أذكى وأعقل الأستاذ المرحوم مالك بن نبي حين نادى بإعادة إحياء قيمة المؤاخاة الإسلامية في قالب جديد ، بدلا من الاكتفاء بالأخوة الإسلامية ، والفرق بين المؤاخاة والأخوة كبير ، فإن الأولى توحي بالحركية والتنفيذ، والثانية توحي بالعمومية والتجريد.[42]

وما من شك في أن هذه الدول والحكومات الإسلامية تمتلك من الإمكانات ما يؤهلها من نشر الخير والفضيلة ، وحماية الحقوق الإنسانية للمسلم وغير المسلم ، إن هي أرادت وأخلصت للشعوب ، وللبشرية جمعاء ، لما حباها الله به من المقدرات والإمكانات البشرية والمادية والتاريخ والجغرافيا.

فلو فهم المسلمون هذه المعاني وقاموا بالواجب الإسلامي تجاه إخوان لهم في فلسطين الشاهدة بعد أن تظاهر عليهم الأعداء في الداخل والخارج ، فأذاقوهم لباس الخوف والجوع والتقتيل والتهجير، فأغاثوهم بالدينار والدرهم ، والسلاح والكراع ، والكساء والغذاء والكلمة والموقف والدواء والدعاء لقال المستضعفون في بلاد ثالث الحرمين: هؤلاء إخواننا سند لنا فلن نبيع شبرا واحدا من أرض فلسطين لليهود الغاصبين ، ولن نذل أو نطأطئ الرأس للشرق ولا للغرب ، وحينها فقط يباهي رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بهذه الأمة سائر الأمم يوم القيامة فيقول :هذه أمتي ...هذه أمتي ... فلو فعل المسلمون ذلك في بداية النكبة ، ما كانت فلسطين لتضيع ، ولما بقي الذل

---

[40]ـ سورة الأنفال ، الآية 72.

[41] ـ سورة محمد ، آية 38.

[42]ـ مالك بن نبي ، **وجهة العالم الإسلامي** ، إعادة ط1 (1986) ، ترجمة عبد الصبور شاهين ، (دمشق ، سورية ، دار الفكر ، عام 1423هـ-2002م) ، ص 47.

والصغار يصفع الجميع إلى اليوم ، ولو أغاث المسلمون إخوانهم في الماضي ما فقدوا فردوسهم الأندلسي، فهذا جزاء التفريط في واجب الإغاثة، وفي ذلك عبرة لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد، ولذلك يحرص أعداء الأمة وعملاؤهم على الجهر بأن قضية فلسطين اليوم قضية قومية إقليمية، وينزعون عنها خاصية الإسلامية لئلا يكون من ورائها مليار ونصف المليار من المسلمين.

2- المنظمات غير الحكومية: وما أكثرها في بلدان العالم الإسلامي وسائر دول العالم ،من مؤسسات خيرية ، ومجامع علمية ، ونواد فكرية ، ومؤسسات إعلامية ...الخ ، إذ لا يكاد بلد من بلاد الإسلام يخلوا من هذه المنظمات التي ارتضى أصحابها أن ينخرطوا في إغاثة المحتاجين في الداخل وفي الخارج ، يحركهم في هذا الاتجاه إيمان عميق بالله واليوم الآخر ، ومحبة الخير للناس من خلال جلب النفع لهم ودفع الضرر والفساد والظلم عنهم ؛ بالكلمة مرة ، وبالصورة أخرى وبالمال تارة ، وبالجهد البدني تارة أخرى ، ... وهكذا....

ولقد أثبت الواقع أن لهذه المنظمات غير الحكومية من التأثير على أطراف الصراع ؛ من خلال نصرة الأقليات المضطهدة والمنكوبة ، ما لم تستطع في كثير من الأحيان تحقيقة تلك الحكومات الضعيفة التي لا تحرك ساكنا أمام الظلم والظالمين.

ولذلك وجدنا بعض الدول الكبرى التي تنتفع ببقاء الصراع في مناطق محددة من العالم، وخاصة العالم الإسلامي ، ومناطق تواجد الأقليات المسلمة ، كأمريكا مثلا تسعى جاهدة لفرض القوانين الجائرة التي تقيد نشاط هذه المنظمات الإسلامية الإغاثية ، بل وتلصق بها من التهم والشبهات ظلما وزورا ، من أجل إخراجها من حلبة الصراع ومناصرة المستضعفين ، وازدادت هذه السياسة تجاه المنظمات الخيرية الإسلامية وضوحا بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر ، أو ما يعرف بالثلاثاء المشؤوم الذي شهدته الولايات المتحدة الأمريكية عام 2001.

3- الرموز الوطنية من العلماء والدعاة والمثقفين والأثرياء والإعلاميين والرياضيين والفنانين وقدماء الساسة ... وغيرهم في العالم أجمع ، ، فرب موقف من واحد من هؤلاء يقفه إلى جانب إخوانه المستضعفين في بقعة من بقع الصراع والاضطهاد ، يكون له من الأثر ما تتغير به المعادلة في الميدان ، ولقد أثبت لنا التاريخ والواقع الحديث صحة هذا الزعم ، وليس هذا الصنف من الرموز قاصرا على المسلمين فقط ، ولكنه عام في كل الأمم والشعوب على وجه الأرض.

وليس شرطا في هذه الرموز الإغاثية أن تكون عالمية ، إذ يكفي أن يكون الواحد منهم رمزا في بلدته أو مدينته أو وطنه ، فيلتف من حوله من يدعمه ويؤيد سعيه في موضعه ، ثم ينسق هو مع أمثاله هنا وهناك ، وكذلك يفعل الباقون ... فيصبح هؤلاء ثيارا عاما في الأمة ، وبذلك تتحقق الخيرية ويغاث المظلوم، ويتتحقق في واقع الأمة ذلك التعاون على البر والتقوى المنصوص في قوله تعالى: ﴿**وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ**﴾.[43]

---

[43] سورة المائدة ، آية 02.

خامسا: مكاسب المسلمين من وراء إغاثة الأقليات المسلمة في العالم:

أذكرها مختصرة، وهذه أهمها:

1- الاستجابة للنصوص الشرعية الآمرة بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والتعاون على البر والتقوى ، ونصرة المظلوم على الظالم.

2- تجسيد مبدأ الأمة الواحدة الموحدة مهما اختلفت الأجناس واللغات والأوطان ، من خلال التضامن والتعاون على الحق والعدل.

3- تقارب الشعوب الإسلامية وزيادة التلاحم بينها حتى تصبح أمة مهابة في عالم لا يعترف بحقوق الضعفاء ، بل ويسعى لزرع التفرقة بين أبناء الوطن الواحد.

4- حماية أنفسنا من التغول الغربي ومن كيد المتحالفين ضد الإنسانية، الذين لا يدخرون جهدا ولا يفوتون فرصة لتحقيق أهدافهم التي تتناقض مع ما يرفعونه من شعارات جوفاء ؛ كحماية حقوق الأقليات ، والدفاع عن المستضعفين ، والأخوة الإنسانية.

5- تحقيق مقصد التحسين والتجميل في أمتنا حتى تكون مرغوبا في الاندماج فيها ، وفي التقرب منها ، وقد يكون هذا التجميل المقاصدي أفضل طريقة لدخول شعوب وأمم في دين الإسلام، لما يرونه من التضامن والنصرة ومحاربة الظلم ، لأن الفطرة الإنسانية تحب ذلك وتقدسه.

قائمة المصادر والمراجع :

*** القرآن الكريم برواية حفص.**

1) ابن الأثير (ت 630 هـ) ، **الكامل في التاريخ** ، 11 ج ، ط1 ، تحقيق أبو الفداء عبد الله القاضي ، (بيروت ، لبنان ، دار الكتب العلمية ،عام 1407 هـ 1987 م) .

2) ابن الجوزي أبو الفرج عبد الرحمن بن علي. **المنتظم في تاريخ الملوك والأمم** . 19ج . ط 1. دراسة وتحقيق: محمد عبد القادر . ومصطفى عبد القادر عطا . بيروت . لبنان . دار الكتب العلمية. عام 1412 هـ 1992م.

3) ابن العربي أبو بكر محمد بن عبد الله . **أحكام القرآن** . 4 ج . ط 3 . تحقيق محمد علي البجاوي . بيروت . لبنان . دار المعرفة للطباعة والنشر . عام 1392 هـ -197م.

4) ابن رجب الحنبلي ، **فتح الباري شرح صحيح البخاري** ، 10ج ، ط 1 ، تحقيق محمود بن شعبان بن عبد المقصود وآخرين، (المدينة المنورة، السعودية ، مكتبة الغرباء الأثرية ، عام 1416 هـ. 1996 م) .

5) ابن سعد محمد بن سعد منيع الزهري (ت 230 هـ) .**كتاب الطبقات الكبير** . 11ج . ط1. تحقيق: علي محمد عمر. القاهرة . جمهورية مصر العربية . الناشر: مكتبة الخنجي بالقاهرة . الشركة الدولية للطباعة . عام 1421 هـ . 2001 م.

6) ابن شبة ، أبو زيد عمر بن شبة النميري البصري . **تاريخ المدينة المنورة** . 4ج . تحقيق فهيم محمد شلتوت . معلومات أخرى :بدون.
7) ابن قتيبة أبو محمد عبد الله بن مسلم (213 -276 هـ) **تأويل مشكل القرآن** ، ط 2 ، تحقيق السيد أحمد صقر، (القاهرة، جمهورية مصر العربية ، مكتبة دار التراث ، عام (1393 هـ - 1973 م) .
8) أحمد ، **المسند**، ج 14 ، . النسخة المعتمدة من المسند اشترك في شرحها ووضع فهارسها الشيخان أحمد شاكر، من ج 1 إلى ج 8 ، و أحمد زين من ج 9 إلى ج 18 أما الجزءان: 19 و 20 فخصصا للفهارس].
9) إسلام عبد التواب ، **الأقليات المسلمة في المجتمعات غير الإسلامية** ، وهو مقال مقدم إلى مؤتمر مكة المكرمة الثالث عشر ، المجتمع المسلم .. الثوابت والمتغيرات ، الذي نظمته رابطة العالم الإسلامي ، ينقله من "كتاب الحقائق" (2009 Book Fact) ،الصادر عن وكالة المخابرات الأمريكية. على الرابط: ..https://www.cia.gov/library/
10)إمام الحرمين الجويني ، **الغياثي** وهو **غياث الأمم في التياث الظُّلَم** ، ط2 ، تحقيق عبد العظيم الديب ، (مطبعة نهضة مصر، عام 1401هـ).
11)البخاري أبو عبد الله محمد بن إسماعيل ، الإمام الحافظ . **الجامع الصحيح** . وهو **صحيح البخاري** . مجلد واحد . اعتنى به أبو صهيب الكرمي. رقم الطبعة: بدون . الرياض . العربية السعودية. بيت الأفكار الدولية للنشر . عام 1419هـ - 1998م.
12)الزبيدي السيد محمد مرتضى الحسيني (ت1205 هـ) ، **تاج العروس من جواهر القاموس** ، 40 ج ، ط1، تحقيق عبد الستار أحمد فراج وآخرين ، (الكويت ، سلسلة الثرات العربي ، مطبعة حكومة الكويت، عام 1421 هـ -2000 م) .
13)سيد عبد المجيد بكر ، **الأقلية المسلمة في آسيا وأستراليا** .
14)الطبري أبو جعفر محمد بن جرير. ***جامع البيان عن تأويل آي القرآن*** . وهو ***تفسير الطبري*** . تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي . 26 ج. الطبعة الأولى . القاهرة .جمهورية مصر العربية . دار هجر.عام 1422هـ. 2001 م.
15)عبد القادر هاشم رمزي . **الدراسات الإنسانية في ميزان الرؤية الإسلامية** . ط1. الدوحة. قطر. دار الثقافة . عام 1404هـ- 1984م.

16)العيدي شاوش ، **نظام الإغاثة في الفقه الإسلامي والمنظّمات المعاصرة «دراسة تأصيلية تطبيقية مقارنة»** أطروحة نال بها الباحث درجة دكتوراه علوم في العلوم الإسلامية ، تخصّص الفقه وأصوله ، من جامعة الأمير عبد القادر قسنطينة.

17)الفراهيدي الخليل بن أحمد (ت 170 هـ)، **كتاب العين** ، 4 ج ، ط 1 ، تحقيق عبد الحميد هنداوي ، (بيروت ، لبنان، منشورات محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية ، عام 1424 هـ - 2003 م).

18)القسطلاني شهاب الدين أحمد بن محمد الخطيب . **إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري**. النووي . **شرح النووي على صحيح مسلم** وعلى هامشه **شرح النووي على صحيح مسلم**. 10ج . ط 7 . بولاق . مصر . المطبعة الأميرية . عام 1323هـ.

19)الكفوي أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني (ت1094 هـ) ، **الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية**، ط2، إعداد الطبع: عدنان الدرويش، ومحمد المصري ، (بيروت، لبنان، مؤسسة الرسالة، عام 1419 هـ-1998م) .

20)مالك بن نبي ، **وجهة العالم الإسلامي** ، إعادة ط1 (1986) ، ترجمة عبد الصبور شاهين ، (دمشق ، سورية ، دار الفكر ، عام 1423هـ-2002م) .

21)محمد بن السعيد بن رسلان ، **حول حياة شيخ الإسلام ابن تيمية** ، ط 2، (مكتبة المنار، عام 2002 م).

22)مسلم أبو الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري الإمام الحافظ . **صحيح مسلم** . مجلد واحد. اعتنى به أبو صهيب الكرمي . رقم الطبعة: بدون . الرياض . العربية السعودية . بيت الأفكار الدولية للنشر. عام 1419هـ - 1998م.

23)المناوي عبد الرؤوف، **فيض القدير شرح الجامع الصغير** ، 6 ج ، ط 2 ،(بيروت ، لبنان ، دار المعرفة للطباعة والنشر ، عام 1391 هـ ـ 1972 م)

24)النسائي، **المجتبى من السنن** المشهور بـ : **سنن النسائي** ، (عمان ، الأردن ، طبعة بيت الأفكار الدولية، معلومات أخرى: بدون).

25)ـ النووي ، **شرح النووي على صحيح مسلم** وهو الهامش على كتاب **إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري** *للإمام القسطلاني*، 10ج ، ط 7 ، (بولاق، مصر ، المطبعة الأميرية ، عام 1323هـ) .